الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الحمد لله الـــذي بنعمته تتم الصـــالحات أحمـــده أولا وآخرا، وأثني عليه الخـير كله بيـده الأمر كلـه، وإليه يرجع الأمر كله، لامانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وبعد:

فبعد تطواف على كتب سلف الأمة وأئمتهـا- من خلال هذا البحث الذي أسأل الله أن يكـون لبنة جديـدة تضـاف في مسار تصحيح معتقد الأمة الإسـلامية بـالعودة بها إلى عقيدة السلف الصالح تلك العقيدة التي كـان عليها النـبي صـــلى الله عليه وســـلم وأصــحابه ومن تبعهم بإحســـان- يمكن الخلوص إلى الأمور الآتية:

أولاً: أنه لا خلاص ولا نجـاة من الحـيرة والاضـطراب في الـدنيا والعـذاب في الآخـرة إلا بتحقيق توحيد الله عز وجل، وإفراده في العبودية والألوهية والأسماء والصفات.

ثانيـــــاً: أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أنـــــواع، توحيد الربوبية وهو إفـــراد الله تعـــالى بما يختص به من الخلق والملك والتدبير، وتوحيد الأسماء والصفات وهو إثبـات ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رســوله محمد صـلى الله عليه وســلم من الأســماء الحســنى والصــفات العلى إثباتــاً بلا تعطيل ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تكـييف، والقاعـدة في ذلك قوله عز وجل: (ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ) [الشورى:11]. وتوحيد الألوهية وهــو: إفــراد الله بالعبــادة الصــادرة من العبـــاد، وهو لازم إثبـــات توحيـــده في ربوبيته وأســـمائه وصـــفاته، والمـــيزان في ذلك كله أن التوحيد هو مفتـــاح الدخول في الإسلام، ومفتاح دخول الجنة لمن ختم له بها حياته (لا إله إلا الله).

ثالثاً: أن توحيد الأسماء والصفات هو الذي كثرت فيه المنازعـــات والاختلافــات بين أهل القبلـــة، وقد وفق الله أهل السنة والجماعة، وهم الطائفة المنصـورة الـذين هم في الأمة كمثل هـــذه الأمة بين ســـائر الأمم للحـــق؛ لأن منهجهم قـــائم على اتبـــاع الكتـــاب والســـنة، وما عليه الصــحابة رضي الله عنهم، ومن تبعهم بإحســـان من أهل القرون المفضلة. وهذا المنهج الـذي هو أسـاس الاعتقـاد يقـــوم على إثبـــات ما أثبته الله لنفسه في كتابه وعلى

لسـان رسـوله، فما ثبت في الكتـاب والسـنة لله وجب إثباته، وما نفاه الكتاب والسنة تعين نفيه، وما سـكت عنه الكتاب والسنة وجب السـكوت عنه وعـدم التعـرض له لا بالنفي ولا بالإثبات امتثالاً لقوله سبحانه: ( ) [الإسراء:36].

رابعاً: أن نصوص الاعتقاد خاصة والشـرع عامة يجب أن تفهم عل فهم الصحابة والتـابعين ومن تبعهم بإحسـان من علمـاء الأمـة؛ فـإن الصـحابة هم أعمق الأمة علمـاً وأشدهم نصـحاً وأكـثرهم فقهـاً، فقد كـانوا عربـاً وبلغتهم نزل القرآن، وعليهم نزل، وعن مبلغ الوحي أخذوا، وإيـاه جالسوا وعنه فهموا، ثم أخذ عنهم تلامـذتهم من التـابعين ممن كانوا عرباً خلّصاً أو تعرّبوا في اللسان وتفقهوا على خير القرون.

خامساً: الإمـام مالك بن أنس-رحمه اللـه- الـذي نشأ في دار الهجـرة وأدرك الأئمة من أهلها وأخذ عنهم العلم قد حرر مسائل الاعتقـاد وألـزم النـاس بهـا، وحمى حِمى التوحيد، وذب عنه كل دخيـل، وبـذل نفسه في المحافظة عليه، وعزّر من خالف نصـوص الكتـاب والسـنة كما فعل مع الرجل الذي سـأله عن الاسـتواء، فأجابه إجابة شـافية أصـبحت بعد عصـره وإلى أن يـأذن الله بخـراب الأرض قاعـدة ذهبية يفـيئ إليها أهل السـنة والجماعـة، ومنها ينطلقـون في تقرير توحيد الله بأسـمائه وصـفاته، حيث قـال رحمه اللـه: "الاسـتواء غـير مجهـول، والكيف غـير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعـة"، ثم أمر بالرجل فأخرج من مجلسه تعزيراً له وتأديبـاً لغـيره، فلم يتسوّر بعد ذلك أحد على حمى توحيد الأسماء والصـفات، وتابعه من لحق به من إخوانه من أهل السـنة، أهل الحق والعدل والإنصاف.

سادساً: أن تلامذة الإمـام مالك ومقلِّديه سـاروا على منهجه العقدي الذي هو المنهج النبـوي، وقد يسر الله لي من خلال هـذا البحث الوقـوف على نمـاذج وقواعد ومنارات للهدى من أئمة المالكية كلهم على نهج إمـامهم

في إثبات توحيد أسماء الله وصفاته، والذب عنه كغـيرهم من أئمة الإسلام حرّاس العقيدة وخلفـاء الرسل في تبليغ دين الله ونفي التحريف عنه. وقد تواطأ على هـذا المنهج متقدمو المالكية ومتأخروهم.

وقد نقلت ما تيسر لي الوقـوف عليه من أقـوال أئمة المالكية سـلفاً وخلفـاً مما يسـتدل به على أن محققي متأخريهم يوافقون متقدميهم في هذا البـاب؛ وهـذا هو ما عليه أهل السنة قاطبة مهما تعددت مدارسهم الفقهية.

سابعاً: أن بعض متأخري المالكية قد خالفوا إمـامهم؛ وذلك بسبب تأثرهم بعلم الكلام وأخـذهم عن علمائه دون التقيد بقاعـدة الإمـام رحمه الله مما سـبّب لهم التذبـذب في باب أسماء الله وصفاته.

ثامناً: إني لأرجو أن يكون هذا البحث المتواضع بمثابة دعوة لأهل السنة عامة، والمالكية خاصة، بوجوب الرجوع إلى ما عليه الأئمة المتقدمون أصحاب القـرون المفضـلة في بـاب التوحيد عامـة، وبـالأخص توحيد الأسـماء والصـفات؛ وكما أن البعض يقلِّد إمامـاً في مسـألة فقهية قابلة للأخذ والرد، فلِم لا يتّبعه في مسائل الاعتقـاد الـتي لا خلاف فيها بين أهل العلم الذين يُعتد بأقوالهم.

تاسعاً: قد خُضت في هذا الموضوع الخطير، وعـانيت من خلال جمع مادته؛ وذلك يرجع إلى أمور منها:

1. ندرة المصادر التي تبيِّن جهود أئمة المالكية في باب الأسماء والصفات.
2. صـعوبة الوصـول إلى المعلومة إن وجـدت من خلال تلك المصادر.
3. تذبـذب متـأخري المالكية في هـذا البـاب مما يجعل الانتقـاء من أقـوالهم الموافقة لما عليه السـلف الصالح أمر يحتاج إلى جهد جهيد.
4. صعوبة الموضوع نفسه؛ لأنه يتحدث عن أسـماء الله وصـفاته، ولا شك أن هـذا من أخطر المسـائل؛ إذا القدم فيه على خطر، والقلم على خوف من الزلـل، كيف وقد ضل عن الصـواب فيه أقـوام كـان يُضـرب بهم المثل في قوة مداركهم!

هـذا، والله أسـأل العفو عن التقصـير، ومنه وحـده أرجو المغفرة، فحسبي أنني اجتهـدت في بيـان كلام المحققين من أئمة المالكية لتوحيد الأسـماء والصـفات، ومـوافقتهم لأهل السنة والجماعـة، وبـذلت في ذلك قصـارى جهـدي، إن أريد إلا الإصـلاح ما اسـتطعت، وما تـوفيقي إلا باللـه، عليه توكلت وإليه أنيب.

سـبحان ربك رب العـزة عما يصـفون، وسـلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.